قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (4)، فبراير، شباط 2020م. 469-426
© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

استجلاء الهدايات القرآنية من التفاسير الإشارية: إحكام الضوابط وتصحيح التنزيل

نورالدين أقجضاض[1]

(Extracting Quranic Guidance Through Inferential Interprétations)

Nuruddin Aqjidhadh

ABSTRACT

This study discusses the referentially implicit interpretations of the Qur'an in light with consistently cognitive, historical and methodological aspects. The study gives accurate explanation of rhetorics of the Qur'an and gradual revelation. Talking and discussing about referentially implicit interpretation is highly essential due to its beauty and value lying in the magnificent referentially (meta) linguistic system that generates a range of intended meanings, functions and dissociative thoughts. This, thus, shows the power and greatness of Allah (SWT) in guiding us and attracting our attention to the beauty of the hidden interpretations of the Qur'an. To draw and grasp the Quranic guidance of the Qur'an and its referential and implicit meanings and interpretations, there ought to be some precise measures to determine the accuracy of the entire process of the implicit interpretations.The study has highlighted much Quranic guidance rhetorically conveyed and presupposed by the referentially implicit interpretations of the Qur'an. The study then has applied "consideration and take approach" in selecting the strongly relevant interpretations. The study adopts a new approach through which new criteria are suggested in interpreting referentially implicit utterances in line with the thorough process of discourse parameters of revelation. The study has described the referentially implicit interpretations and highlighted the places where they appear. This has been done by manifesting the techniques used in contextually connecting all these interpretations, which are coherently in

1جامعة القاضي عياض، مراكش– المغرب، 2018/10/19م الموافق ل: 1440/01/09ه.

line with specifically accurate criteria that help distinguish well-formulated implicit interpretations from the ill-ones. The study concludes that referentially implicit interpretations illustrate and portray the remarkable value of Quranic guidance. The vast majority of these interpretations are consistent with the reliable rules used in extracting and inducing Quranic guidance being implicitly related to the (meta) cognitive aspects of interpretations that are implicitly transmitted and that are not easy to be perceived by people. This thus gives a unique aesthetical value to these interpretations and hidden meaning that all interact in portraying Quranic guidance.

Keywords: *Referential and Implicit Interpretations, Quranic Guidance, Criteria and Rules, Conditions And Revelation*

ملخص

تناولت الدراسة الاشتغال على التفاسير الإشارية من حيث تحرير القول فيها من الناحية التعريفية والتاريخية والمنهجية والحكمية، وتأصيل ضوابط الأخذ والاعتداد، وإحكام صور التمثيل والتنزيل. والعمْد إلى التفسير الإشاري كمورد من موارد النظر والاعتبار والاستنباط مورد جليل جميل، خليق بالإعمال لا الإهمال؛ لرقة دلالاته، وخفي إشاراته، ومستتر هداياته؛ مما يبعث في النفوس إجلالا لآيات الكتاب، وإعظاما لمكتنز دلالتها، وقطعا لطمع تحصيل جميع هداياتها، ودفعا لإدمان النظر طلبا لإدراك بعضها؛ إلا أن المسلك لا يستقيم إلا باستصحاب متين الضوابط التي عليها المعول في استلال الهدايات، واستجلاء الإرشادات.وقد أسفرت الدراسة عن تكاثر وتراكم الهدايات الصحيحة المنزع في هذه التفاسير؛ مما أفضى للوقوف على ضوابط الاعتبار في تأسيسها، والكشف عن حيدة عدد منها عن طرق الأخذ والاعتبار، مع مجافاة للآيات وصلا ودلالة ومعنى.وتنازع المسلكين وتنافرهما بين أخذ وترك يستدعي الهروع إلى التحصّن بصحيح الضوابط، وينادي باللجأ إلى تدعيم الضوابط بمشتملات حسن التنزيل، وهو ما سعى البحث تحقيقه، وناشد تحصيله؛ متنقّلا بين توصيف هدايات التفاسير الإشارية، ومبرزا مجلات ورودها، ومجَليا أساليب صياغتها، ومفصحا عن مظاهر اتساق بعضها مع مرْعِي الضوابط، ومعربا

عن أوجه حيدة بعضها عن مختار الضوابط.وكان الختم بالاستهداء إلى وفرة الهدايات وغناؤها في التفاسير الإشارية، وخضوع أكثرها للقواعد والأصول المعتمدة في استجلاء الهدايات القرآنية، مع الإلماح إلى دقة وجمالية بعضها لاتصالها بمسالك أهل الإشارات في عميق النظر ودقيق التمحيص، ونفاسة بعضها وبعدها عن مدارك كثير من أهل الطلب، وتحصيلها جاء لوصلها بمحل استخراج خفي الإشارات ومستتر الدلالات.

كلمات دالَّة: التفاسير الإشارية، الهدايات القرآنية، الضوابط، الشروط، التنزيل

1. مقدمة

حوى الله تعالى في كتابه من بديع العلوم أترابها، وضمنه من بديع المعارف أربابها؛ فكان مأرز السادة العلماء باختلاف أفهامها، ومنزع العامة باختلاف مشاربها، منهل كل عالم، ومسدّ كل ناهم، فوائده تترا لا تنقضي بتعاقب الأيام، وفرائده تتناسل تناسل الأنام، أودعه الله من كل علم طرفا، وحشاه من كل فن حرفا.

وبعد؛ فمن أكمل غايات الاشتغال بالقرآن، وأحظى أوجه الوصل بكلام الرحمن، وأسد عرى التمثل بأحكام كتاب المنان: التوثق بمعرفة وتحقيق الهدايات، لتنزيلها على أوفق الهيئات، لتحقيق أسعد الغايات.

القرآن كتاب هداية وإرشاد، وحياض هناء وإسعاد، ومنزع للوصل بتليد المجد واستمداد، تنسحب هداياته على الخليقة فيطيب عيشها، ويصفو حالها، ويستقيم أمرها، وتعلو رايتها، وتجمع كلمتها، تلتزم الأمة إرشاداته فتزكو سموا، وتربو علوا.

وكيف لها أن تتسامى بغير ذلك، وما تحقق لها شموخ إلا بالوحي، وما هيبت إلا زمن العض عليه، وما تكدر العيش، وساءت الأخلاق، وغلب الجهل، وتلاحقت الفتن، وضعف

صوت الحق، ومُكّن لأهل الباطل، وذلّت الرقاب، وذبّ الوهن، وكثر النزاع إلا يوم نبوّ الأمة عن كلام ربها، والإعراض عن دلالاته، والتنكب لهداياته.

هدايات تتطلب الكشف عن سبل تنزيلها على واقع الأمة، بما يعج به من ميل وصدف عن الحق، ونبوّ عن الهدى، وتنكّب عن الصراط، وإعراض عن الإقبال على الله تعالى.

والهدايات القرآنية تستل من الآيات انطلاقا من لغتها، ودلالة ألفاظها، وبلاغتها، وقراءاتها، وإعجازها، ومناسباتها، وسياقها، وتفسيرها.

إن من موارد ضبط معاقد الهدايات الفهم والاستنباط والتفكر، والاعتبار والنظر والتأمل، وهي ضوابط جامعة حمَّالة، صحيحة في أصل الاعتبار والأخذ بها، مجافية لذلك في بعض الأحاين حال التنزيل والتمثيل، ومن هنا تبرز التفاسير الإشارية من حيث جمعها لصحيح الشرط مع سيء التنزيل، والعكس حينا، والسلامة من سيء التنزيل تارة؛ إذ من معولاتها الاعتبار والقياس والإلحاق والإشارة والدلالة الخفية و...، وهي بهذا التوصيف محل اشتراك بينها وبين التفاسير المعتبرة الآخذة بذلك، محل تنازع وخلاف حال التنزيل والتطبيق؛ لذا كان المذهب المسدد المؤيد التفصيل في حكم الاعتداد والأخذ منها، وهو ما درج عليه الأئمة أهل الشأن نسقا واحدا؛ استحضارا لما تنطوي عليه من جميل الهدايات، ومسدّد الدلالات، وخفي الإشارات، الصالحة للاعتبار، المنطلقة من سليم الشرط، وصحيح الضابط.

وهذه دراسة بحثية موسومة بـ: "استجلاء الهدايات القرآنية من التفاسير الإشارية: إحكام الضوابط، وتصحيح التنزيل"، أروم من خلالها سلوك منهج تأصيلي تحليلي طلبا للوقوف على متين الضوابط التي عليها المعول في استلال الهدايات، وتحرير القول في التفاسير الإشارية من الناحية التعريفية والمنهجية والحكمية، والإسفار عن تكاثر وتراكم الهدايات الصحيحة المنزع في هذه التفاسير للوقوف على ضوابط الاعتبار في تأسيسها، والكشف عن

حيدة عدد من الهدايات عن طرق الأخذ والاعتبار، مع مجافاة للآيات وصلا ودلالة ومعنى؛ لإظهار أوجه الخروج عن الضوابط المعتبرة في تأسيس الهدايات.

والعمد إلى التفسير الإشاري كمورد من موارد النظر والاعتبار والاستنباط مورد جليل جميل خليق بالإعمال لا الإهمال، لرقة دلالاته، وخفي إشاراته، ومستتر هداياته؛ مما يبعث في النفوس إجلالا لآيات الكتاب، وإعظاما لمكتنز دلالتها، وقطعا لطمع تحصيل جميع هداياتها، ودفعا لإدمان النظر طلبا لإدراك بعضها.

والإشارات متى احتضنت ما تواضع عليه المحققون من الشروط، وتقيدت بصحيح الضوابط والأصول، كان الإقبال عليها قسيم ما انتظم عليه أهل التفسير المبرزين من جهة إخضاع الآيات إلى الاعتبار والقياس والتأمل والتفكر والتدبر والنظر والاستنباط والكشف والإسفار، أدوات تدفع بالآيات إلى الكشف عن جميل الهدايات، وغني الدلالات، ودقيق الإشارات.

واعتماد التفاسير الإشارية كمحضن من محاضن الهدايات لا يلزم منه الاتكاء عليها جملة، والاعتداد بها كلية؛ بل تعتمد كمصدر وموئل، يحتاج إلى التتبع والتبصر، والتأمل والتفكر؛ فيؤخذ من هداياتها الأوفق والأحظى بتحقق الضوابط والأصول، والتمكن من القواعد والخصائص.

وطالب تحصيل صحيح الهدايات من دقيق الإشارات ينبغي أن يكون ذا بصيرة وعلم، ونظر ومعرفة؛ لتمييز ما اجتمع من الإشارات على صحيح الشروط المعتبرة، وما كان من الإشارات خِلوا من بعض الشروط.

والوازع إلى اختيار هذا الموضوع دفْع ما تذايع خبره، وانتشر أمره من لزوم مجافاة هذه التفاسير جملة، وعدم الاعتداد بها كلية، لامتلائها بكل سقيم، وخوائها من كل سليم، مع دافع التنبيه إلى وفرة هداياتها، واكتناز صفحاتها بجمع من الفرائد والفوائد، وخفي الإشارات، وعزيز الدلالات، ونفيس الهدايات؛ مما لا يسع دفعه، ولا يسعف الصادق رده.

وتتجلى أهميته في:

- فرادته في طرحه؛ إذ لا توجد دراسة –على حسب علمي القاصر – عُنيت بدراسة الهدايات القرآنية من التفاسير الإشارية.
- غناء مخرجاته؛ إذ أسفر البحث عن عدد من النتائج الهامة المتصلة بالتصور العام حول التفاسير الإشارية، والممتدة إلى الهدايات القرآنية.
- إضافاته؛ إذ يسعى البحث إلى إيجاد مورد آخر لاستلال الهدايات القرآنية، إضافة إلى ما هو معتبر ومتوارد عليه.
- جزئياته؛ إذ البحث أسهم في الكشف عن خصائص وأساليب وقواعد وتنزيلات لها وصل بالهدايات القرآنية.

أما بالنسبة للدراسات السابقة، لم أظفر بدراسة مستقلة داعمة تُعنى بالتفاسير الإشارية من حيث هداياتها الموصولة بخصائصها وأساليبها وقواعدها ومجالاتها.

أما الدراسات المتناولة للتفاسير الإشارية بمعزل عن دراسة الهدايات فهي متوافرة موجودة، وهي على ضربين:

- دراسة للتفاسير الإشارية في مباحث علوم القرآن، وفي مقدمات التفاسير، وفي ثنايا التفسير، وفي كتب أصول التفسير؛ مثل: كتاب "التفسير والمفسرون" للذهبي، وهو من أكثر من توسع في ذلك، و"مناهل العرفان" للزرقاني و...
- دراسات مستقلة عُنيت بالتفاسير الإشارية؛ مثل: "التفسير الإشاري ماهيته وضوابطه" لمشعان سعود، و"التفسير الإشاري بين الروعة والبدعة" لقيس قيس الله محمد، و"التفسير الإشاري– دراسة تأصيلية" لعبد الفتاح بن صالح اليافعي .

وقبل الشروع في المقصود أشير إلا أنني تناولت – على وجه التفصيل – بالدراسة أربعة من التفاسير الإشارية؛ فاخترت أشهرها، وأذيعها، وأحسنها، وأجمعها في بابها؛ وهي: تسفير التستري، وتفسير القشيري، وتفسير النيسابوري، وتفسير الألوسي.

2. التعريف بالتفسير الإشاري

التفسير الإشاري مسلك في التفسير يتجه إلى الكشف عن المعاني الباطنة للآيات، والإسفار عن الدلالات المستبطنات والمستترات في الآيات، اعتمادا على إشارات خفية تعرض لأهل العلم بالحقيقة والسلوك والإلهام.

يقول الزرقاني في مناهل العرفان: "التفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا "[2].

وعلى التعريف الأول درج محمد حسين الذهبي: "التفسير الفيضي أو الإشاري هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المراد"[3].

يقول عبد الله الجديع:"التّفسير الإشاريّ هو تفسير اللّفظ بغير المتبادر من ظاهره، أو استخراج معاني كامنة وراء الظّاهر"[4].

وقد اتحدت التعاريف في صرف التفسير الإشاري جهة إدراك خفي الإشارات ومستتر الدلالات انطلاقا من خفي العبارات.

2الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم. (1943م). مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، (2/ 78).

3الذهبي، الدكتور محمد السيد حسين. (2000م).التفسير والمفسرون.القاهرة: مكتبة وهبة، ط7، (2/ 261).

4الجديع العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب. (2001م).المقدمات الأساسية في علوم القرآن.بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز، ط1، ص: 374.

والداعي لهذا التوجه هو الانطلاق من كون الآيات القرآنية لها بواطن كالظواهر، وحلُّ بواطنها لازم كالكشف عن ظواهرها، وهذا المعتمد مرده إلى عدد من الأحاديث المصرِّحة بذلك، لكنها كلها أحاديث معلولة لا تنهض بالاحتجاج والتعليل.

والتعريف الإشاري يتداخل كثيرا – اسما ومضمّنا – مع التفسير الصوفي والفيضي والباطني والتفسير الرمزي؛ حتى أن بعضهم يخلع ما تقدم من أسماء على جميعها دون تمييز، والصواب أن التفسير الإشاري يختلف عن التفسير الباطني وغيره على نحو من البيان الآتي:

التفسير الإشاري يعتمد ظاهر الآيات ويقرّ بها مرادا للآيات، ويجعله الأصل في التفسير والتأويل، وينطلق منه إلى بواطنها، خلافا للتفسير الباطني الذي يهمل الظاهر ويسقطه، ويعتبر البواطن أصلا في إدراك مراد الآيات.

يقول الزرقاني في المناهل: "ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة؛ فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه، ويقولون لا بد منه أولا؛ إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن، وقصدهم نفي الشريعة"[5].

3. تاريخية التفسير الإشاري ودواعي الوجود

العمد إلى تفسير بعض الآيات على خلاف الظاهر اعتمادا على إشارات دقيقة خفية، أمر حاصل من فجر الإسلام، ولا أدلّ على ذلك من مسلك ابن عباس رضي الله عنه في تفسير سورة النصر، وقد توارد بعدَ ذلك أئمة التفسير على ذكر بعض الإشارات الخفية في ثنايا تفاسيرهم، أما إفراد ذلك بالتأليف استقلالا فلعل أول من افتتح ذلك التستري (ت 283هـ) في سفر صغير الحجم، ثم أعقبه عبد الرحمن السلمي (ت412هـ) بكتاب الحقائق، وهذا

5الزرقاني. مناهل العرفان في علوم القرآن. (2/ 79).

الكتاب أبعد ما يكون عن صحيح الإشارات؛ بل هو كتاب إلى جهة التفاسير المبتدعة المتروكة أدخل؛ كما قرر ذلك ابن الصلاح والذهبي والسيوطي[6]، ثم أُتبع كتاب الحقائق في نفس قرنه بأشهر مصنفات الباب "لطائف الإشارات" للقشيري (ت465هـ)، والمصنفان الأخيران أهم ما صنف في الباب إلى نهاية القرن الخامس كما قال عدد من الباحثين[7]، ثم توالت التفاسير في الإشارات وتكاثرت، وكان من أشهرها تفسير النيسابوري والألوسي، وهذان الأخيران عرفا تغييرا في النهج والمسلك؛ إذ جعلا باب الإشارات والتأويل من تفسيريهما ملحقا بأصل التفسير المعتمِد على دراسة ظواهر الآيات وفق القواعد المرعية في ذلك.

ومن أهم دواعي وجود هذه التفاسير مُرام أصحابها – بزعمهم – من خدمة بواطن الآيات التي انصرف عنها أهل التفسير، وعدلوا إلى دراسة الظواهر وإهمال البواطن.

يقول سهل بن عبد الله التسترى في تفسيره: "ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم ،والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عز وجل، فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص"[8].

يقول القشيري في مقدمته: "كرّم الأصفياء من عباده بفهم ما أودعه من لطائف أسراره وأنواره لاستبصار ما ضمنه من دقيق إشاراته وخفى رموزه، بما لوح لأسرارهم من مكنونات، فوقفوا بما خصوا به من أنوار الغيب على ما استتر عن أغيارهم، ثم نطقوا على

6السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1976م). طبقات المفسرين العشرين.المحقق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة وهبة ، ط1، ص: 98.

7القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. (2000م).لطائف الإشارات.المحقق: إبراهيم البسيوني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3، (1/ 4).

8التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع. (2002م).تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية، ط1.ص: 16.

مراتبهم وأقدارهم، والحق سبحانه وتعالى يلهمهم بما به يكرمهم، فهم به عنه ناطقون، وعن لطائفه مخبرون، وإليه يشيرون، وعنه يفصحون، والحكم إليه في جميع ما يأتون به ويذرون"[9] .

4. مذاهب العلماء في الاعتداد بالتفسير الإشاري

اختلفت كلمة أهل العلم في الاعتداد بالتفاسير الإشارية، وتباينت مسالكهم في ذلك؛ ويمكن إجمال اتجاهاتهم في ثلاثة أقوال:

– القول بالإغراق في الإشارات، وجعلها المرادة من الآيات، وعدّ ذلك من كمال الإيمان.

– إسقاط الإشارات وعدم الرجوع إليها في تناول آيات الكتاب، وعدّ مقتحم ذلك من أهل الزيغ والانحراف.

– الاعتداد بصحيح الإشارات دون سقيمها، القائمة على صحيح الاعتبار والنظر، والتي لها وصل بالآية ولو من طرف خفي، وعدّ الإشارات من باب الهدايات دون أصل التفسير.

والمسلك الثالث هو الذي درج عليه المحققون؛ فتوافقت كلماتهم وتمالأت، وتظاهرت تقريراتهم واتحدت، واجتمعت مذاهبهم وتظافرت.

وهذه بعض النصوص المسندة إلى أهل التحقيق، والناطقة بصحة المسلك الثالث وتقدمته:

9القشيري. لطائف الإشارات. (1/ 23).

يقول شيخ الإسلام: "وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوما من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار، وهذا حق إذا كان قياسا صحيحا لا فاسدا، واعتبارا مستقيما لا منحرفا"[10].

وقال ابن حجر في الفتح – حال تعليقه على حديث سؤال عمر ابن عباس رضي الله عنه عن سورة النصر في حضرة الصحابة: "وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه: أو فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن"[11].

وهذا ما قرره السيوطي بعد نقله نفس المذهب عن التفتازاني: "وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان"[12].

وقد سلك الزرقاني طريق التحقيق والتمحيص فقرر صحة الاعتداد بالتفاسير الإشارية ببيان أوجه تباينها عن التفاسير الباطنية: "ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة؛ فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولا؛ إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى

10ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1995م). مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1،(28/2).

11ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي. (1960م). فتح الباري شرح صحيح البخاري، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، ط1، (736/8).

12السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974م). الإتقان في علوم القرآن. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ، (2/ 485).

بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما الباطنية فإنهم يقولون إن الظاهر غير مراد أصلا، وإنما المراد الباطن، وقصدهم نفي الشريعة"[13].

وعلى هذا درج الزركشي مُقرا ومستدلا بكلام ابن الصلاح[14].

ومما يقوي هذا المسلك، ويعضد القول الثالث صنيع أهل التفسير حال إيرادهم عددا من الإشارات في ثنايا التفسير، كالقرطبي وابن كثير وابن عاشور.

5. شروط الاعتداد بالإشارات

امتدادا لما سبق تقريره من صحة الاعتداد بالإشارات والركون إليها حال سلامتها معنى واستدلالا وتنزيلا،ينبغي التواضع على عدد من الشروط الملجمة لطريق الإشارات، والمحكمة لطريقها، والمصححة لمسيرها، والمفضية بها إلى الجمع بين معتبر الشرع وسليم النظر.

وقد وضع العلماء قديما وحديثا رزمة من الشروط الضابطة للاعتداد بالإشارات[15]، وقد عمِلْتُ على جمعها والتقريب بينها، وإضافة صحيح الشروط مما قال به البعض وأهمله الآخرون؛ فكانت الشروط كالآتي:

1- وجوب توافق التفسير الإشاري مع ظاهر الآية نظما ومعنى، وألا يقع بينهما تنافر وتناف.

13الزرقاني. مناهل العرفان. (56/2).

14الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (1957م). البرهان في علوم القرآن.المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، (170/2).

15ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1933م). التبيان في أقسام القرآن. المحقق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار المعرفة، ط1، ص 49؛ والزرقاني. مناهل العرفان.(2/ 81)؛ والذهبي. التفسير والمفسرون (2/ 279)؛ القطان، مناع بن خليل. (2000م). مباحث في علوم القرآن. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3،ص: 368؛ والجديع. المقدمات الأساسية في علوم القرآن. ص: 379.

2- أن يصدر التفسير الإشاري عن معنى صحيح شرعا وعقلا.

3- أن يكون له من الشريعة شواهد تعضده وتسنده.

4- عدم قصر التفسير الإشاري على معنى الآية كأنه هو المراد وحده؛ بل يجب أن يكون مع المراد الظاهر من الآية تابعا ومكمِّلا.

5- أن يكون للتفسير الإشاري وصل بالآية من جهة اللفظ، وألا يند عن لفظ الآية حتى لا يدرى وجه صلته بها.

6- ألا تسفر الإشارة عن معنى سخيف متكلف متعسف، وإن صح في ذاته، كتفكيك بعض الألفاظ للإشارة إلى معان خفية.

6. فصل القول في التفاسير الإشارية

العمد إلى التفسير الإشاري كمورد من موارد النظر والاعتبار والاستنباط مورد جليل جميل خليق بالإعمال لا الإهمال، لرقة دلالاته، وخفي إشاراته، ومستتر هداياته؛ مما يبعث في النفوس إجلالا لآيات الكتاب، وإعظاما لمكتنز دلالاتها، وقطعا لطمع تحصيل جميع هداياتها، ودفعا لإدمان النظر طلبا لإدراك بعضها.

والإشارات متى احتضنت ما سلف من الشروط، وتقيدت بما فرط من الضوابط والأصول، كان الإقبال عليها قسيم ما انتظم عليه أهل التفسير المبرزين من جهة إخضاع الآيات إلى الاعتبار والقياس والتأمل والتفكر والتدبر والنظر والاستنباط والكشف والإسفار، أدوات تدفع بالآيات إلى الكشف عن جميل الهدايات، وغني الدلالات، ودقيق الإشارات.

يدل على ما سبق تقريره تواطؤ أهل الصنعة التفسيرية على إدراج عدد من الإشارات حال تفسير الآيات، واجتماع أهل التحقيق عل عدم هدر التفاسير الإشارية جملة، وأخذ ما سلم من إشاراتها تأصيلا وتنزيلا.

وطالب تحصيل صحيح الهدايات من دقيق الإشارات ينبغي أن يكون ذا بصيرة وعلم، ونظر ومعرفة؛ لتمييز ما اجتمع من الإشارات على صحيح الشروط المعتبرة، وما كان من الإشارات خلوا من بعض الشروط.والله أعلم.

7. تعبيرات مفهوم الهدايات القرآنية في التفاسير الإشارية

اتجهت التفاسير الإشارية في عرضها للهدايات القرآنية إلى استعمال عدد من التعابير المتنوعة لفظا، المتقاربة دلالة.

استعمالات تعبيرية جرت في الغالب على نسق ما درج عليه أهل التفسير حال إرادة التعبير عن الهدايات القرآنية، وانفردت بتعابير أخرى قل تواردُ أهل التفاسير عليها، وبالغت في استعمال أخرى لشدة لصوقها بمجرى التفاسير الإشارية.

8. موافقة التفاسير الإشارية لمعهود التفاسير في تعبيرات مفهوم الهدايات

أولا: الإشارة وما اشتق منها

– في قوله تعالى: {بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُون}[سورة الأنبياء، الآية: 44]: ويقال تنقص بذهاب الأكابر ويبقى الأراذل ويتعرض الأفاضل، وفى هذا أيضا **إشارة** إلى سقوط قوى العبد بمرور السنين وتطاول العمر[16].

–في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[سورة النجم، الآية: 32]: فيه **إشارة** إلى أن اللمم ما لا يمكن فيه الاجتناب عنه لكل الناس أو لأكثرهم؛ فالعفو عن ذلك يحتاج إلى سعة وكثرة، بل فيه بشارة أنه سبحانه

16 القشيري. لطائف الإشارات. (2/ 504).

يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك؛ لأن غفران اللمم لا يوجب الوصف بسعة المغفرة، وإنما يوجب ذلك أن لو غفر معها الكبائر[17].

ثانيا: الدلالة وما اشتق منها

– قوله تعالى: {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون}[سورة المطففين، الآية: 15]: فيها **دلالة** بينة على إثبات الرؤية للمؤمنين خاصة[18].

– قوله تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [سورة مريم، الآية: 25]: يقال بل أمرت بهز النخلة اليابسة، وكان تمكنها من ذلك أوضح **دلالة** على صدقها في حالها[19].

ثالثا: الإفادة وما اشتق منها

– في قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[سورة الفرقان، الآية: 1]: تبارك على وزن تفاعل **تفيد** دوام بقائه، واستحقاقه لثبوته، وبقاء وجوده لا عن استفتاح ولا إلى انقطاع[20].

– في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى}[سورة البقرة، الآية: 178]: لفظة «على» أيضا **تفيد** الوجوب

17النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. (1995م). غرائب القرآن ورغائب الفرقان. المحقق: الشيخ زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (6/ 208).

18التستري. تفسير التستري. ص: 189.

19القشيري. لطائف الإشارات. (2/ 425).

20المصدر نفسه، (2/ 626).

كقوله: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين}[سورة آل عمران، الآية: 97][21].

رابعا: الدلالة وما اشتق منها

– قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون}[سورة النمل، الآية: 18]: وفي الآية **دليل** على حسن الاحتراز مما يخشى وقوعه، وأن ذلك مما تقتضيه عادة النفس، وما فطروا عليه من التمييز[22].

– قوله تعالى: {وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون}[سورة القصص، الآية: 57]: وفي الآية **دلالة** على صحة المحاجة لإزالة شبهة المبطلين[23].

خامسا: يؤخذ من

– قوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم}[سورة فصلت، الآية: 35]: يمكن أن **يؤخذ من** الأول ما هو من أول الأول لا الثاني؛ بأن يقال: كل صابر هو الذي يلقاها، وكل من يلقاها فهو ذو حظ عظيم، ينتج كل صابر هو ذو حظ عظيم، ولا يمكن أن يؤخذ قياس من الشكل[24].

9. تعبيرات لمفهوم الهدايات حفلت بها التفاسير الإشارية دون ما سبق من

21النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (1/ 480).

22القشيري. لطائف الإشارات. (3/ 30).

23النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (5/ 352).

24الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1994م)؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المحقق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (12/ 375).

معهود التفاسير

أولا: الإيماء

– قوله تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [سورة الأنعام، الآية: 34]: غاية للصبر، وفيه **إيماء** إلى وعد النصر للصابرين[25].

ثانيا: النكتة

– قوله تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [سورة التوبة، الآية: 88]: وفي قوله: {لكن الرسول} **نكتة** هي أنه إن تخلف هؤلاء فقد أنهض إلى الغزو من هو خير منهم وأصدق نية كقوله: { فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِين} [سورة الأنعام، الآية: 89][26].

ثالثا: اللطائف

– قوله تعالى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون} [سورة البقرة، الآية: 186]: ومن **لطائف** الآية أنه تعالى قال:{فإني قريب} دون أن يقول «فقل إني قريب» كما قال في سائر الأسئلة والأجوبة؛ فكأنه سبحانه يقول: عبدي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء، أما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك[27].

25المصدر نفسه، (4/ 129).

26النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (3/ 514).

27المصدر نفسه، (1/ 509).

رابعا: التلويح

– قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون}[سورة البقرة، الآية: 117]: الآية مسوقة لبيان كيفية الإبداع، ومعطوفة على قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} مشتملة على تقرير معنى الإبداع، وفيها **تلويح** بحجة أخرى لإبطال ذلك الهذيان؛ بأن اتخاذ الولد من الوالد إنما يكون بعد قصده بأطوار ومهلة؛ لما أن ذلك لا يمكن إلا بعد انفصال مادته عنه وصيرورته حيوانا، وفعله تعالى بعد إرادته أو تعلق قوله مستغن عن المهلة فلا يكون اتخاذ الولد فعله تعالى[28].

خامسا: التعريض

– قوله تعالى: {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[سورة آل عمران، الآية: 114]: هاتان الصفتان إشارة إلى أنهم فوق التمام، وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بإرشادهم إلى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي، وفيه **تعريض** بالأمة المذمومة أنهم كانوا مداهنين، وعن سفيان الثوري: إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند إخوانه فاعلم أنه مداهن[29].

10. توصيف استعمال تعابير مفهوم الهدايات في التفاسير الإشارية

أولا: درجت التفاسير الإشارية على استعمال غالب التعابير التي تواطأ عليها أهل التفسير، والتي نصت عليها – على جهة التفصيل – الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية[30]،

28الألوسي. روح المعاني. (1/ 367).

29النيسابوي. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (2/ 240).

30د/ طه عابدين طه أحمد ود/ ياسين بن حافظ قاري ود/ فخر الدين الزبير علي. (2017م). الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية. السعودية: مكتبة دار المتنبي، ط1، (1/70-58).

ولعلها – أي التفاسير الإشارية – كانت خِلوا فقط من استعمال لفظة "بينت ، تبين..." على حد ما اطلعت عليه منها.

ثانيا: أوغلت التفاسير الإشارية في استعمال عبارة "الإشارة" للدلالة على الهدايات القرآنية، ووجه ذلك جريان دلالة العبارة على منهج تلك التفاسير من حيث بيان خفي الدلالات من الآيات، والوقوف على بواطنها، وأكثر من توسع في استعمال هذه العبارة بشكل كبير جدا تفسير القشيري والألوسي.

ثالثا: عرفت التفاسير الإشارية الجنوح إلى بعض التعابير للدلالة على الهدايات القرآنية على وجه أقرب إلى التفرد والاختصاص، كلفظة: "التلويح" و "التعريض" و...

11. الطرائق المعتمدة عند أصحاب التفاسير الإشارية لاستجلاء الهدايات القرآنية.

اعتماد التفاسير الإشارية على صحيح الطرائق المفضية إلى الكشف عن الهدايات

أولاً: دلالات الألفاظ

– قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ}[سورة النساء، الآية: 171]: أي لا تجاوزوا دينكم بالبدع، وتعدلوا عن الحق، وهو الكتاب والسنة والإجماع، ميلاً إلى هوى نفوسكم[31].

وجه دلالة اللفظ أن الغلو تجاوز في الدين، ومن صور التجاوز تجاوز السنة إلى البدعة.

31 التستري. تفسير التستري. ص: 57.

– قوله تعالى: {يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِين}[سورة آل عمران، الآية: 43]:لم يقل مع الراكعات إما للتغليب، وإما لأن الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء[32].

ثانيا: السياق

– قوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا} [سورة النساء، الآية: 3]: أو ما ملكت أيمانكم أي من السراري بالغة ما بلغت كما يؤخذ من السياق[33].

ثالثا: النظائر من القرآن

– قوله تعالى: {* يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِين}[سورة الأعراف، الآية: 31]: إن الله تعالى جعل الجهل والمعصية في الشبع {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (6) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}[سورة العلق، الآيتان: 6-7][34].

رابعا: التأمل في أدلة الكتاب والسنة

– قوله تعالى: {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}[سورة البقرة، الآية: 52]: سرعة العفو على عظيم الجرم تدل على حقارة قدر المعفو عنه، يشهد لذلك قوله تعالى مخاطبا أمهات المسلمين: {يَانِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[سورة الأحزاب، الآية: 30]، هؤلاء بنو إسرائيل

32 النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (2/ 160).

33الألوسي. روح المعاني. (2/ 406).

34 التستري. تفسير التستري. ص: 65.

عبدوا العجل فقال الله تعالى: {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}[سورة البقرة، الآية: 52][35].

خامسا: التناسب

- قوله تعالى: {وَأَكِيدُ كَيْدًا(16)فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا}[سورة الطارق، الآيتان: 16-17]: هم يحتالون حيلة، ونحن نحكم فعلا ونبرم خلقا، ونجازيهم على كيدهم، بما نعاملهم به من الاستدراج والإمهال[36].

ووجه جعل الاستدراج والمهلة كيدا ما يظهر من تناسب من جهة عطف "فمهل" على "وأكيد كيدا".

سادسا: القراءات

- قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا} [سورة الحجرات، الآية: 12]: وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن سيرين «ولا تحسسوا»[37]: الانطلاق من التفريق والتوجيه بين القراءتين للدلالة على عدد من الهدايات القرآنية:

التجسس بالجيم تتبع الظواهر، وبالحاء تتبع البواطن: تفيد حرمة التجسس عن الظواهر والبواطن.

وقيل: الأول أن تفحص بغيرك، والثاني أن تفحص بنفسك: التجسس مذموم باختلاف وسائطه.

35 القشيري. لطائف الإشارات. (1/ 91).

36 المصدر نفسه، (3/ 716).

37وهي قراءة شاذة.

وقيل: الأول في الشر، والثاني في الخير: التحسس قصد الخير يخرج عن التجسس المذموم[38].

سابعا: الاعتبار بأصول الشريعة

– قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[سورة الحجرات، الآية: 13]:جاء قوله عليه الصلاة والسلام "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل" ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" إلى غير ذلك دلالة على أن شرف الانتساب إليه عليه الصلاة والسلام لا ينبغي لمن رُزقه أن يجعله عاطلا عن التقوى، ويدنسه بمتابعة الهوى، فالحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من أهل بيت النبوة أسوأ[39].

الانطلاق من مفهوم الآية والدلائل الشرعية الأخرى وما تقرر في أصول الشريعة للإفضاء إلى تلك الهداية.

ثامنا: الاستفادة من أوجه اللغة والإعراب

– قوله تعالى: {* قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا}[سورة الحجرات، الآية: 14]: وألحق الفعل علامة التأنيث لشيوع اعتبار التأنيث في الجموع، والنكتة في اعتباره هاهنا الإشارة إلى قلة عقولهم، على عكس ما روعي في قوله تعالى: {* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ}[سورة يوسف، الآية: 30][40].

38الألوسي. روح المعاني. (13/ 308).

39المصدر نفسه، (13/ 316).

40المصدر نفسه، (13/ 317– 318).

تاسعا: التأمل في اقتران أسماء الله الحسنى

– قوله تعالى: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم} [سورة الحجرات، الآية: 16]: ختمت الآية باسم الله العليم للدلالة على علمه بما أخفوه من تبطين الكفر، تذييل مقرر لما قبله؛ أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإسلام[41].

12. توصيف طرائق أصحاب التفاسير الإشارية لتحصيل الهدايات القرآنية

أولا: اهتدى غالب أصحاب التفاسير الإشارية إلى جلّ الطرائق المعتمدة المحصلة للهدايات القرآنية، وقد أعرضت عن استعراضها والتمثيل لجميعها لكفاية ما سبق في المطلب الأول دلالة على تشبع تلكم التفاسير بغالبيتها.

ثانيا: غلبت طريقة النظر في دلالات الألفاظ على بقية الطرائق، لشدة وصلها بمراد تلك التفاسير، ولكونها أخلق الطرق لتحصيل خفي الإشارات ومستتر الدلالات.

ثالثا: اعتمد تفسير النيسابوري والألوسي على التناسب كأداة فاعلة في الكشف عن الهدايات، وقد حفل التفسيران بكم هائل من الهدايات التي موردها التناسب، وأنواع التناسب جميعها حاضرة في الإسفار عن عدد من الهدايات.

رابعا: خلا تفسير التستري والقشيري من غالب الطرائق الموصلة إلى الهدايات، إلاّ ما كان من دلالات الألفاظ، ومردّ ذلك إلى شدة اتكاء التفسيرين على خفي الإشارات الموصلة إلى بواطن الآيات.

خامسا: يُفرَّق في هدايات التفاسير الإشارية بين ما ورد في ثنايا التفسير، وبين ما خُص في زاوية التأويل وباب الإشارات، فالأولى غالبا ما يعتمد في استجلائها على صحيح

41المصدر نفسه، (13/ 319).

الطرائق وسليم الأساليب؛ أما الثانية فأكثريتها لا تخضع إلى قاعدة صحيحة ولا إلى طريقة مرضية.

13. أساليب التفسير الإشارية في عرضها للهدايات القرآنية

توارد أصحاب التفاسير الإشارية على النظر في الأساليب القرآنية خدمة للهدايات القرآنية

أولا: أسلوب ضرب الأمثال

– قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِين}[سورة البقرة، الآية: 19]: شبه القرآن بمطر ينزل من السماء، وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق، وشبه التجاءهم إلى الفرار عند سماع أصوات الرعد، وفي ذلك: إشارة لأصحاب الغفلات إذا طرق أسماعهم وعظ الواعظين، أو لاحت لقلوبهم أنوار السعادة، ولو أقلعوا عماهم فيه من الغفلة لسعدوا، لكنهم ركنوا إلى التشاغل بآمالهم الكاذبة، وأصروا على طريقتهم الفاسدة، وتعللوا بأعذار واهية[42].

ثانيا: أسلوب ضرب الأسئلة

– قوله تعالى: {الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِين}[سورة النور، الآية: 3]: في الآية سؤال، وتحت السؤال هدايتان: كيف قدمت الزانية على الزاني في الآية المتقدمة وعكس الترتيب في هذه؟ والجواب أن تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما على جنايتهما وكانت المرأة أصلا فيها لأنها هي التي أطمعت الرجل في ذلك، وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل هو الأصل في الرغبة والخطبة[43].

42 القشيري. لطائف الإشارات. (1/ 66).

43 النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (5/ 151).

ثالثا: أسلوب العطف

-قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}[سورة البقرة، الآية: 83]: أفاد عطف الإحسان إلى الوالدين على الله عددا من الهدايات:

- أنهما سبب وجود الولد كما أنهما سبب التربية، وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين.

-الله تعالى في إنعامه غني عن خلقه، وإنعام الوالدين على الولد لا يترجيان منه جزاء، ولا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا .

- الله تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم، والوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وإن كان غير بارّ بهما.

- الله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل أحد، والوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة[44].

رابعا: أسلوب المقابلة

مقابلة الألفاظ الواردة في قصة نوح عليه السلام من سورة الأعراف مع القصة التالية لنبي الله هود عليه السلام، وتحت دلالات التقابلات اللفظية عدد من الهدايات، نذكر منها: في قصة نوح عليه السلام لم يرد ذكر أخاهم: إما أن هذا وصف وارد للذم لا غير، وإما أنه لم يكن في أشراف قوم نوح من يؤمن وكان في أشراف قوم هود من آمن به[45].

44 المصدر نفسه، (1/ 321).

45 النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (3/ 268 – 268).

خامسا: أسلوب الالتفات

-قوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون}[سورة الحجرات، الآية: 7]: والإشارة بقوله تعالى أولئك هم الراشدون إليهم، فيه نوع من الالتفات، والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى يبصره ما هم فيه من سبق القدم في الرشاد؛ أي إصابة الطريق السوي، فحاصل المعنى أنتم على الحال التي ينبغي لكم تغييرها وقد بدر منكم ما بدر ولكن ثم جمعا عما أنتم عليه من تصديق الكاذب، وتزيين الإيقاع بالبريء، وإرادة أن يتبع الحق أهواءكم برآء لأن الله تعالى حبب إليهم الإيمان[46].

سادسا: أسلوب الاختصاص

- قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ}[سورة الحجرات، الآية: 11]: والقوم جماعة الرجال ولذلك قال سبحانه: {وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ}، ووجه الاختصاص بالرجال أن القيام بالأمور وظيفتهم، كما قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء}[سورة النساء، الآية: 34][47].

سابعا: أسلوب الترتيب

- قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم}[سورة الحجرات، الآية: 12]: جاء الأمر أولا باجتناب الطريق التي لا تؤدي إلى العلم وهو الظن، ثم نهى ثانيا عن طلب تحقيق ذلك الظن ليصير علما بقوله سبحانه: {ولا

46الألوسي. روح المعاني. (13/ 300).
47المصدر نفسه، (13/ 304)

تجسسوا}، ثم نهى ثالثا عن ذكر ذلك إذا علم؛ فهذه أمور ثلاثة مرتبة: ظن فعلم بالتجسس فاغتياب[48].

ثامنا: أسلوب الاحتباك

– قوله تعالى: {* قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا}[سورة الحجرات، الآية: 14]:في الآية احتباك، والأصل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن أسلمتم فقولوا أسلمنا؛ فحذف من كل من الجملتين ما أثبت في الأخرى[49].

تاسعا: أسلوب التقديم والتأخير

– قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}[سورة الحجرات، الآية: 15]: تقديم الأموال على الأنفس من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ويجوز بأن يقال: قدم الأموال لحرص الكثير عليها حتى أنهم يهلكون أنفسهم[50].

عاشرا: أسلوب التضمين

– قوله تعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}[سورة الحجرات، الآية: 17]: {أن أسلموا} في موضع المفعول ليمنون لتضمينه معنى الاعتداد: يفيد التضمين أن الاعتداد بالإسلام ليس فيه أي منة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[51].

48الألوسي. روح المعاني. (13/ 312).
49المصدر نفسه، (13/ 318).
50المصدر نفسه، (13/ 319).
51المصدر نفسه، (13/ 319).

الحادي عشر: أسلوب الحذف

– قوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}[سورة التكاثر، الآية: 1]: وحذف الملهي عنه للتعظيم المأخوذ من الإبهام بالحذف والمبالغة في الذم، حيث أشار إلى أن ما يلهي مذموم فضلا عن الملهي عن أمر الدين[52].

14. توصيف أساليب القرآن الكريم في التفاسير الإشارية في عرضها للهدايات القرآنية

أولا: تشبعت التفاسير الإشارية بمختلف الأساليب القرآنية في عرضها للهدايات، ولم تغفل منها ما تتابع عليه أهل التفسير في تجلية أساليب الآيات المفضية إلى عرض الهدايات، بل وردت متكاثرة متوافرة متنوعة متجددة، وقد عدلْتُ عن بيان جميعها من تلك التفاسير خشية الإطالة.

ثانيا: أسهم الدافع من التفاسير الإشارية إلى الاهتمام بالأساليب القرآنية بشكل دقيق ومعمق، طلبا لحصول المقصود من تأليفها، وتحصيلا لعدد من الإشارات الخفية المكتنزة في ثنايا الأساليب القرآنية.

ثالثا: نجت – في كثير من الأحيان – الهدايات القرآنية المستلة من تنوع الأساليب القرآنية من جثو الإشارات المذمومة، والخيالات الصوفية، وبواطن الآيات المتكلفة المتنافرة.

رابعا: الاشتغال بالإسفار عن بواطن الآيات فوَّت النظر في أساليب القرآن الكريم قصد استجلاء الهدايات القرآنية، وكلما كان الإغراق في الكشف عن البواطن أفشى كان النظر في الأساليب أضعف وأقصر، وهذا ما يفسر نذرة الهدايات القرآنية المتصلة بالأساليب القرآنية في تفسيري التستري والقشيري.

52المصدر نفسه، (15/ 452).

15. مجالات الهدايات القرآنية في التفاسير الإشارية

حضور مجالات الهدايات القرآنية المتفق عليها في التفاسير الإشارية

أولا: مجال العقيدة

– قوله تعالى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُون}[سورة الأعراف، الآية: 193]: هو القادر على هداية داعيه، وعلْم العبد بقدرة معبوده يوجب تبرِّيه عن حوله وقوته، وإفراد الحق– سبحانه– بالقدرة على قضاء حاجته، وإزالة ضرورته فتتقاصر عن قصد الخلق خطاه، وتنقطع آماله عن غير مولاه[53].

ثانيا: مجال العبادات

– قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُون}[سورة الماعون، الآية: 6]: الرياء في أداء العبادة مذهبة لأصلها؛ لأن المنافقين كانوا يحسنون الصلاة في المساجد، فإذا غابوا عن أعين المسلمين تكاسلوا عنها، ألا ترى كيف أثبتهم أولاً مصلين، ثم أوعدهم بالوعيد[54].

ثالثا: مجال السلوك وأحوال القلوب

–قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}[سورة الأنفال، الآية: 72]: جميع الطاعات لله جهاد النفس، وليس جهاد أسهل من جهاد السيف، ولا جهاد أشد من مخالفة النفس[55].

53 القشيري. لطائف الإشارات. (1/ 596).

54 التستري. تفسير التستري. ص: 207.

55 المصدر نفسه، ص: 72.

رابعا: مجال الأخلاق

– قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} [سورة التوبة، الآية: 71]: الموالاة مع المؤمنين كف الأذى عنهم[56].

خامسا: مجال المعاملات

– قوله تعالى{وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلا}[سورة النساء، الآية: 22]: تشير الآية إلى حفظ الذمام، والوقوف على حد الاحترام، فإن السجية تتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره، فنهى الأبناء عن تخطى حقوق الآباء في استفراش منكوحة الأب[57].

16. توصيف مجالات الهدايات القرآنية في التفاسير الإشارية

أولا: اتصلت الهدايات القرآنية في التفاسير الإشارية بمختلف المجالات، ولم تغفل جانبا من الجوانب المتفق عليها عند أهل التفسير، ووصْل الهدايات بمختلف المجالات دلالة على رحابة الهدايات في التفاسير الإشارية.

ثانيا: كان الاتجاه الأقوى في نسبة مجالات الهدايات في التفاسير الإشارية مرتكزا على جانب السلوك، وأحوال القلوب، ومداواة النفوس.

ثالثا: القصد من الإشارات الصوفية العناية بالقلب ومتعلقاته؛ لذا كان حضور مجال السلوك في التفاسير القاصرة على خفي الإشارات (تفسير التستري – تفسير القشيري) أقوى وأفشى وأوفر.

56التستري.تفسير التستري. ص: 73.

57 القشيري. لطائف الإشارات. (1/ 323).

رابعا: أكثر مجال ضلت فيه الهدايات القرآنية طريقها، وزاغت عن أصلها، وصغت عن غايتها عند أصحاب التفاسير الإشارية.. مجال أحوال القلوب؛ لاستحضار بواطن الآيات التي لا تقوم على أصل مطرد سليم.

17. خصائص الهدايات في التفاسير الإشارية

أولا: الإغراق في دلالة الألفاظ لاستخراج دقيق الهدايات

– قوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين}[سورة آل عمران، الآية: 159]: من شاور واتكل في إمضاء ما عزم ثم ندم فقد اتهم الله تعالى[58].

– قوله تعالى: {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلا}[سورة النساء، الآية: 22]: أفادت الآية مراتب القبح الثلاثة: في العقول وفي الشرع وفي العادة؛ فالفاحشة إشارة إلى القبح العقلي لأن زوجة الأب تشبه الأم، والمقت إشارة إلى القبح الشرعي، وساء سبيلا إشارة إلى القبح العادي[59].

ثانيا: مراعاة دقيق التأمل لإدراك وجه اتصال الهداية بالآية

– قوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار}[سورة آل عمران، الآية: 191]: من اشتغل بطلب العلم والتقوى وقراءة القرآن وذكر الله عز وجل واتباع السنة واجتناب اللهو لم تصبه الأمراض والأسقام[60].

58 التستري. تفسير التستري. ص: 51.

59 النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (2/ 380).

60 التستري. تفسير التستري. ص: 52.

وجه اتصال الهداية بالآية: مقامهم على الذكر في أحوال تقلبهم دلالة على عافية أبدانهم.

ثالثا: الاختصار والدقة والوضوح في التعبير

– قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم}[سورة المائدة، الآية: 66]: لو أقبلت على الرازق لكفيت مؤنة الرزق[61].

رابعا: جمال الصياغة وجودة السبك

– قوله تعالى: {وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً}[سورة الأعراف، الآية: 69]: كما زاد قوما على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد قوما على من تقدمهم في بسطة الخلق، وكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى المعاني[62].

خامسا: تعداد وتكثير الهدايات تحت الآية الواحدة

قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون} [سورة البقرة، الآية: 28]: دلت الآية على أمور منها:

(1) اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العليم الحي السميع البصير الغني عما سواه

(2) الدلالة على أنه لا قادر على الإحياء والإماتة إلا الله.

(3) الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل القطعي الدال عليه؛ لأن الإعادة أهون من الإبداء.

61التستري.تفسير التستري. ص: 59.

62القشيري. لطائف الإشارات. (1/ 544).

(4) الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب.

(5) الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لأنه قال: فأحياكم أي بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة أخرى بينهما، ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحياة، ثم بين أنه لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حياة ثانية للسؤال أو للحشر، ثم من الرجوع إليه للثواب أو العقاب[63].

سادسا: صحتها في ذاتها وبعدها عن الآية

وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ}[سورة الأعراف، الآية: 187]: يعني لا يجلي نفس الطبع من الهوى إلى طاعته إلاَّ هو[64].

سابعا: صياغتها في نسق كلام عام فتكون في حاجة للاستخلاص والصياغة

- قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}[سورة الأعراف، الآية: 60]:نسبوا نوحا- عليه السلام- إلى الضلالة، فتولى إجابتهم بنفسه فقال{قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}[سورة الأعراف، الآية: 61]، ونبينا- صلى الله عليه وسلم- نسب إليه فتولى الحق- سبحانه- الرد عنه فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}[سورة النجم، الآية: 2]؛ فشتان بين من دافع عن نفسه، وبين من دافع عنه ونفى عنه ربه[65].

الاستخلاص والصياغة: تفيد الآية سمو قدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الأنبياء لدفع الضلالة عنه حال اتهامه بها من قبل الله جل في علاه.

63النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (1/ 208).

64 التستري. تفسير التستري. ص: 70.

65 القشيري. لطائف الإشارات. (1/ 543).

ثامنا: زيغ أكثر الهدايات حال إيرادها في باب الإشارات

الغالب الأعم جنوح الهدايات عن الجادة والسلامة متى أدرجت في زاوية التأويل وفي باب الإشارات؛ وذلك أن هذين المحلين موطن إيراد مُتعلَّق الآية من حيث بواطنها ومستتراتها من طرف أصحاب الإشارات؛ وعليه يعِز وجود هداية سليمة المعنى لها وصل بالآية في هذا المحل.

تاسعا: صحة بعض الهدايات رغم إيرادها في باب الإشارات

– قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ}[سورة الحجرات، الآية: 11]: ومن باب الإشارة في بعض الآية: يشير إلى ترك الإعجاب بالنفس، والنظر إلى أحد بعين الاحتقار؛ فإن الظاهر لا يعبأ به، والباطن لا يطلع عليه، فرب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله تعالى لأبره[66].

هذه الهداية أوردها الألوسي في آخر كلامه عن الآية في زاوية حديثه عن الإشارات، وهي صحيحة في ذاتها، تدل عليها ألفاظ الآية، وهذا من النزر القليل؛ إذ يعزّ وجود هداية صحيحة لها وصل بالآية في زاوية الإشارات.

18. تحقيق القول في اعتماد التفسير الإشاري كمورد للهدايات القرآنية

تتحد التفاسير الإشارية مع باقي التفاسير – ممن هي على غير سيرتها – في التواطؤ على سليم الطرائق المفضية إلى الهدايات، والتوافق على مجالات ورودها، والتواؤم على خصائصها وأساليبها، والاجتماع على غايتها ومرادها، بل والتظافر على تعابير كشفها واستلهامها.

66 الألوسي. روح المعاني. (13/ 320).

والاشتراك في أصل المنزع، والاتحاد في الصفات والهيئات يوجب تلازم الحكم على جميع الأفراد والجزئيات، وأعني بذلك أن تأخذ التفاسير الإشارية حكم باقي التفاسير؛ من حيث الاعتماد عليها كمورد من موارد استجلاء الهدايات القرآنية.

واعتماد التفاسير الإشارية كمحضن من محاضن الهدايات لا يلزم منه الاتكاء عليها جملة، والاعتداد بها كلية؛ بل تعتمد كمصدر وموئل، يحتاج إلى التتبع والتبصر، والتأمل والتفكر؛ فيؤخذ من هداياتها الأوفق والأحظى بتحقّق الضوابط والأصول، والتمكّن من القواعد والخصائص.

وقد أسفرت المباحث السابقة عن كم هائل جدا من الهدايات التي راعت أصل صحتها، وحافظت على سليم منزعها، فتلبست بلبوس ما تنتجه باقي التفاسير من جميل الهدايات؛ فلا يجرمننا اتجاه تفاسير الإشارات ومنهجها في رد ما صح من الهدايات أصلا وتنزيلا.

ويتغلب جانب الاعتماد ويتقوى باستحضار المسائل الآتية:

(1) وفرة الهدايات وغناؤها في التفاسير الإشارية.

(2) خضوع أكثرها للقواعد والأصول المعتمدة في استجلاء الهدايات القرآنية.

(3) دقة وجمالية بعضها لاتصالها بمسالك أهل الإشارات في عميق النظر ودقيق التمحيص.

(4) نفاسة بعضها وبعدها عن مدارك كثير من أهل الطلب، وتحصيلها جاء لوصلها بمحل استخراج خفي الإشارات ومستتر الدلالات.

(5) غناء الهدايات الموصولة بمجال السلوك وأحوال القلوب والسير إلى الله تعالى.

(6) مراعاة حقيقة كون الهدايات الواردة في عدد من التفاسير الإشارية على ضربين متنافرين متباعدين: هدايات واردة في مقام التفسير وتوابعه، وهدايات واردة في زاوية التأويل وباب الإشارات؛ فالضرب الأول قسيم لباقي التفاسير، ومحل اشتراك واتحاد، والضرب الثاني هو محل عدول أكثر الهدايات عن جادتها؛ لاستلالها من النظر في بواطن الآيات.

(7) منهج أصحاب تفاسير الإشارات القائم على غناء الآيات القرآنية حتى كان لها ظاهر وباطن .. يفضي إلى التوسع في خدمة الآيات من حيث النهل والاستخراج والاستنباط والاعتبار والقياس و...، وكلها أدوات خادمة لمفهوم الهدايات.

(8) وجوب التمييز بين التفاسير الإشارية التي ألفت رأسا لإظهار خفي الإشارات انطلاقا من بواطن الآيات، وبين التفاسير الإشارية التي درجت على مسلك أئمة التفسير، ومضت على غرزهم، وصارت على نظمهم؛ فالأولى شحيحة قد ضنت بصحيح الهدايات في الجملة وإن حفلت ببعضها، والثانية جمعت بين مسالك أهل التفسير من جهة وبين وازع الكشف عن خفي الإشارات.. فأفضى بها الجمع بين المسلكين إلى توافر وغناء الهدايات التي صحت أصلا وتنزيلا ووصلا بالآيات، ويحضر في الشق الأول على جهة التمثيل تفسير التستري، وفي الشق الثاني يبرز تفسير النيسابوري والألوسي.

(9) باب الإشارات باب متسعة جوانبه، متداخلة أطرافه، إن أُسقِط جملة فات باب عظيم بغير مسوغ صحيح، وإن أوغل فيه كلية جذب من الخيالات والأوهام ما يعسر رده لعدم اطراده على أصل صحيح، وفصل القول إخضاع الإشارات إلى قواعد العلم وقوانين المعرفة، ومبادئ النظر والتفكر، إعمالا وإهمالا، وردا وقبولا.

(10) الإشارات غير قاصرة على التفاسير الإشارية؛ بل هي مبثوثة في غالب التفاسير المعتمدة، مُعتدّ بها، محتفى بها، متى كانت تحت أصل صحيح ولها ارتباط بالآية ولو من طرف خفي. وتفاسير القرطبي وابن كثير وابن عاشور وغيرهم حافلة بها.

تلك عشرة كاملة، تؤز بمنطوقها ومفهومها إلى اعتماد التفاسير الإشارية كمورد من موارد استجلاء الهدايات القرآنية، مع إخضاعها لما من سلف بيانه من الشروط والقيود.والله أعلم.

19. خاتمة ونتائج

بعد تناول المادة بالبحث والدراسة، والعرض والتحليل، والمناقشة والتدليل، لاحت من الدراسة عدد من النتائج والمخرجات، نذكر أهمها وأوفاها بالمقصود:

أولا: النتائج

(1) التفسير الإشاري مسلك في التفسير يتجه إلى الكشف عن المعاني الباطنة للآيات، والإسفار عن الدلالات المستبطنات والمستترات في الآيات، اعتمادا على إشارات خفية.

(2) التفسير الإشاري المنضبط يتباين اسما ومضمنا واستمدادا مع التفسير الصوفي والفيضي والباطني والرمزي.

(3) العمد إلى تفسير بعض الآيات بخلاف الظاهر اعتمادا على إشارات دقيقة خفيةأمر حاصل من فجر الإسلام.

(4) أهم دواعي وجود هذه التفاسير مرام أصحابها – بزعمهم – خدمة بواطن الآيات التي انصرف عنها أهل التفسير، وعدلوا إلى دراسة الظواهر وإهمال البواطن.

(5) أهم كتب التفسير الإشاري أربعة: تفسير النيسابوري، وتفسير الألوسي، وتفسير التستري،وتفسير القشيري.

(6) اختلفت كلمة أهل العلم في الاعتداد بالتفاسير الإشارية، وتباينت مسالكهم في ذلك بين مجيز وراد.

(7) الصحيح من الأقوال: الاعتداد بصحيح الإشارات دون سقيمها، القائمة على صحيح الاعتبار والنظر، والتي لها وصل بالآية ولو من طرف خفي، وعدّ الإشارات من باب الهدايات دون أصل التفسير.

(8) تواطأ أهل الصنعة التفسيرية على إدراج عدد من الإشارات حال تفسير الآيات، كتفسير القرطبي وابن كثير وابن عاشور.

(9) صحة الاعتداد بالإشارات والركون إليها حال احتضانها للشروط المعتبرة عند أهل التحقيق.

(10) العمد إلى التفسير الإشاري كمورد من موارد النظر والاعتبار والاستنباط، مورد جليل جميل خليق بالإعمال لا الإهمال، لرقة دلالاته، وخفي إشاراته، ومستتر هداياته، متى تقيدت الإشارات بالشروط المعتبرة.

(11) التفاسير الإشارية من حيث الاستعمالات التعبيرية لمفهوم الهدايات جرت في الغالب على نسق ما درج عليه أهل التفسير حال إرادة التعبير عن الهدايات القرآنية (الإشارة – الإفادة – الدلالة– الأخذ – الهداية...).

(12) انفردت التفاسير الإشارية بتعابير أخرى قل توارد أهل التفاسير عليها، وبالغت في استعمال أخرى لشدة لصوقها بمجرى التفاسير الإشارية (التلويح – التعريض – النكتة – اللطيفة).

(13) اهتدى غالب أصحاب التفاسير الإشارية إلى جلّ الطرائق المعتمدة المحصِّلة للهدايات القرآنية (دلالات الألفاظ – التأمل في أدلة الكتاب والسنة – أصول الشريعة – السياق – التناسب – أوجه اللغة والإعراب...).

(14) غلبت طريقة النظر في دلالات الألفاظ على بقية الطرائق، لشدة وصلها بمراد تلك التفاسير، ولكونها أخلق الطرق لتحصيل خفي الإشارات ومستتر الدلالات.

(15) يُميز في هدايات التفاسير الإشارية بين ما ورد في ثنايا التفسير، وبين ما خُصّ في زاوية التأويل وباب الإشارات، فالأولى غالبا ما يعتمد في استجلائها على صحيح الطرائق وسليم الأساليب؛ أما الثانية فأكثريتها لا تخضع إلى قاعدة صحيحة ولا إلى طريقة مرضية.

(16) خلا تفسير التستري والقشيري من غالب الطرائق الموصلة إلى الهدايات، إلا ما كان من دلالات الألفاظ، ومرد ذلك إلى شدة اتكاء التفسيرين على خفي الإشارات الموصلة إلى بواطن الآيات.

(17) تشبعت التفاسير الإشارية بمختلف الأساليب القرآنية في عرضها للهدايات، ولم تغفل منها ما تتابع عليه أهل التفسير في تجلية أساليب الآيات المفضية إلى عرض الهدايات (ضرب الأمثال – الالتفاف – المقابلة – الاحتباك – التضمين – الحذف – الاختصاص – العطف ...).

(18) أسهم الدافع من التفاسير الإشارية إلى الاهتمام بالأساليب القرآنية بشكل دقيق ومعمَّق، طلبا لحصول المقصود من تأليفها، وتحصيلا لعدد من الإشارات الخفية المكتنزة في ثنايا الأساليب القرآنية.

(19) نجت الهدايات القرآنية – في كثير من الأحيان – المستلة من تنوع الأساليب القرآنية من جثو الإشارات المذمومة، والخيالات الصوفية، وبواطن الآيات المتكلفة المتنافرة.

(20) الاشتغال بالإسفار عن بواطن الآيات فوت النظر في أساليب القرآن الكريم قصد استجلاء الهدايات القرآنية، وكلما كان الإغراق في الكشف عن البواطن أفشى كان النظر في الأساليب أضعف وأقصر، وهذا ما يفسر نذرة الهدايات القرآنية المتصلة بالأساليب القرآنية في تفسيري التستري والقشيري.

(21) اتصلت الهدايات القرآنية في التفاسير الإشارية بمختلف المجالات، ولم تغفل جانبا من الجوانب المتفق عليها عند أهل التفسير، ووصل الهدايات بمختلف المجالات دلالة على رحابة الهدايات في التفاسير الإشارية (العقيدة – العبادات – الأخلاق – المعاملات – السلوك ...).

(22) كان الاتجاه الأقوى في نسبة مجالات الهدايات في التفاسير الإشارية مرتكِزا على جانب السلوك، وأحوال القلوب، ومداواة النفوس.

(23) القصد من الإشارات الصوفية العناية بالقلب ومتعلقاته؛ لذا كان حضور مجال السلوك في التفاسير القاصرة على خفي الإشارات (تفسير التستري – تفسير القشيري) أقوى وأفشى وأوفر.

(24) أكثر مجال ضلت فيه الهدايات القرآنية طريقها، وزاغت عن أصلها، وصغت عن غايتها عند أصحاب التفاسير الإشارية مجال أحوال القلوب؛ لاستحضار بواطن الآيات التي لا تقوم على أصل مطرد سليم.

(25) وفرة الهدايات وغناؤها في التفاسير الإشارية.

(26) خضوع أكثرها للقواعد والأصول المعتمدة في استجلاء الهدايات القرآنية.

(27) دقة وجمالية بعضها لاتصالها بمسالك أهل الإشارات في عميق النظر ودقيق التمحيص.

(28) نفاسة بعضها وبعدها عن مدارك كثير من أهل الطلب، وتحصيلها جاء لوصلها بمحل استخراج خفي الإشارات ومستتر الدلالات.

(29) مراعاة حقيقة كون الهدايات الواردة في عدد من التفاسير الإشارية على ضربين متنافرين متباعدين: هدايات واردة في مقام التفسير وتوابعه، وهدايات واردة في زاوية التأويل وباب الإشارات؛ فالضرب الأول قسيم لباقي التفاسير، ومحل اشتراك واتحاد، والضرب الثاني هو محل عدول أكثر الهدايات عن جادتها؛ لاستلالها من النظر في بواطن الآيات.

(30) منهج أصحاب تفاسير الإشارات القائم على غناء الآيات القرآنية حتى كان لها ظاهر وباطن، يفضي إلى التوسع في خدمة الآيات من حيث النهل والاستخراج والاستنباط والاعتبار والقياس و...، وكلها أدوات خادمة لمفهوم الهدايات.

(31) وجوب التمييز بين التفاسير الإشارية التي أُلفت رأسا لإظهار خفي الإشارات انطلاقا من بواطن الآيات، وبين التفاسير الإشارية التي درجت على مسلك أئمة التفسير، ومضت على غرزهم، وصارت على نظمهم؛ فالأولى شحيحة قد ضنت بصحيح الهدايات في الجملة وإن حفلت ببعضها، والثانية جمعت بين مسالك أهل التفسير من جهة وبين وازع الكشف عن خفي الإشارات، فأفضى بها الجمع بين المسلكين إلى توافر وغناء الهدايات التي صحت أصلا وتنزيلا ووصلا بالآيات، ويحضر في الشق الأول على جهة التمثيل تفسير التستري، وفي الشق الثاني يبرز تفسير النيسابوري والألوسي.

(32) باب الإشارات باب متسعة جوانبه، متداخلة أطرافه، إن أُسقِط جملة فات باب عظيم بغير مسوغ صحيح، وإن أوغل فيه كلية جذب من الخيالات والأوهام ما

يعسر رده لعدم اطراده على أصل صحيح، وفصل القول إخضاع الإشارات إلى قواعد العلم وقوانين المعرفة،ومبادئ النظر والتفكر، إعمالا وإهمالا، وردا وقبولا.

(33) الإشارات غير قاصرة على التفاسير الإشارية؛ بل هي مبثوثة في غالب التفاسير المعتمدة، معتدّ بها، محتفى بها، متى كانت تحت أصل صحيح ولها ارتباط بالآية ولو من طرف خفي.

ثانيا: التوصيات

(34) العمل على استلال صحيح الهدايات من التفاسير الإشارية في القرآن كله؛ طلبا لإفرادها وتمييزها عن غيرها.

(35) تناول التفاسير الإشارية بالبحث والدراسة مازال قاصرا غير مستو على أصوله؛ لذا يرجى استدامة الدراسات التأصيلية التي تعنى بالتفاسير الإشارية.

(36) إفراد أعمال مستقلة يعهد إليها النظر في باب الإشارات والتأويل لإدراك بعض من الأصول الصحيحة التي قامت عليها تلك الإشارات.

(37) إنتاج ملخصات علمية قائمة على التهذيب والتنقيح لكتب الإشارات؛ طلبا لتمييز فوائدها وفرائدها من مدخول سقيم الإشارات.

المصادر والمراجع:

REFERENCES :

‘Abd al-Raḥmān Bin Muḥammad Bin ‘Abīdullah al-’Anṣārī, Kamāluddīn. (1405H). Nazhah al-’Albā’ fī Ṭabaqāt al-’Udabā’, Taḥqīq : ’Ibrāhīm al-Sāmirā’ī. Maktabah al-Manār al-Zarqā’, al-’Urdun, Ed. 3.

‘Alī Bin al-Ḥasan Bin Hibahullah, (1415 H). Tārīkh Damshiq, Taḥqīq : ‘Amrū Bin Ghurāmah. Dār al-Fikr.

ʾAbū ʿAbdillah Muḥammad Bin Saʿad Bin Manīʿ al-Hāshimī bi al-Walāʾ, al-Baṣarī, al-Baghdādī. (1410H). al-Ṭabaqāt al-Kubrā, Taḥqīq : Muḥammad ʿAbd al-Qādir ʿAṭṭā. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah Beīrūt, Ed. 1.

ʾal-Dzahabī, Shamsuddīn ʾAbū ʿAbdillah Muḥammad Bin ʾAḥmad Bin ʿUthmān Bin Qaymāz. (1404H). Maʿrifah al-Qurrāʾ al-Kibār ʿalā al-Ṭabaqāt wa al-ʾAʿṣār, Taḥqīq : Bashār ʿAwād Maʿrūf, Shuʿīb al-ʾArnaʾūṭ, Ṣaliḥ Mahdī ʿAbbas. Muʾassasah al-Risālah, Beīrūt, Lubnān, Ed. 1.

al-Baghdādī, ʾAbū Bakr ʾAḥmad Bin Mūsā Bin al-ʿAbbās Bin Mujāhid al-Tamīmī. (1400H) al-Sabʿah fī al-Qirāʾāt, Taḥqīq : Dr. Shauqī Ḍaif. Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, Ed. 2.

al-Baghdādī, ʾAbū Bakr, ʾAḥmad Bin ʿAlī Bin Thābit al-Khahīb. (1422H). Tārīkh Baghdād, Taḥqīq : Bashār ʿAwād Maʿrūf. Dār al-Gharb al-ʾIslāmī, Beīrūt, Ed. 1.

al-Bukhārī, ʾAbū ʿAbdillah Muḥammad Bin ʾIsmāʿīl Bin ʾIbrāhīm Bin al-Mughīrah. al-Tārīkh al-Kabīr. Ṭabaʿah Dāʾirah al-Maʿārif al-ʿUthmāniyyah, Ḥaidar Ābād, al-Dukn

al-Bukhārī, ʾAbū ʿAbdillah, Muḥammad Bin ʾIsmāʿīl Bin ʾIbrāhīm Bin al-Mughirah. (1422H). Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Taḥqīq : al-Nāṣir Muḥammad Zuhīr Bin Naṣir. Dār Ṭuq al-Najāt, Ed. 1.

al-Dānī, ʾAbū ʿAmrū, ʿUthmān Bin Saʿīd al-Dānī. (1407H). al-Muḥkam fī Naqṭ al-Muṣḥaf, Ṭaḥqīq : Dr. ʿIzzah Ḥasan. Dār al-Fikr, Damshiq, Ed. 2.

al-Dānī, ʾAbū ʿAmrū, ʿUthmān Bin Saʿīd al-Dānī. (1428H). Jāmiʿ al-Bayān fī al-Qirāʾāt al-Sabʿ. Jāmiʿah al-Shāriqah , al-ʾImārāt, Ed. 1.

al-Dhahabī, Shamsuddīn ʾAbū ʿAbdillah Muḥammad Bin ʾAḥmad Bin ʿUthmān Bin Qaymāz. (1405H). Sīr ʾAʿlām al-Nubalāʾ, Taḥqīq : Majmūʿah min al-Muḥaqqiqīn bi ʾIshrāf al-Shīkh Shuʿīb al-ʾArnaʾūṭ. Muʾassasah al-Risālah, Beīrūt, Lubnān, Ed. 3.

al-Dhahabī, Shamsuddīn ʾAbū ʿAbdillah Muḥammad Bin ʾAḥmad Bin ʿUthmān Bin Qaymāz. (2003H). Tārīkh al-ʾIslām wa Wafyāt al-Mashāhīr wa al-ʾAʿlām, Taḥqīq : al-Duktūr Bashār ʿAwwād Maʿrūf. Dār al-Gharb al-ʾIslāmī, Ed. 1.

al-Ḥamawī, Shahabuddīn, ʾAbū ʿAbdillah Yāqūt Bin ʿAbdullah. (1414H). Muʿjam al-ʾUdabāʾ, Taḥqīq : ʾIḥsān ʿAbbās. Dār al-Gharb, Beīrūt, Ed. 1.

al-Nīsābūrī, Muslim Bin al-Ḥajjāj ʾAbū al-Ḥasan al-Qushairī. Ṣaḥīḥ Muslim, Taḥqīq : Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī. Dār ʾIḥyāʾ al-Turāth, Beīrūt

al-Ṣafadī, Ṣalaḥuddīn Bin ʾAbyak Bin ʿAbdullah. (1420H/ 2000M). al-Wāfī bi al-Wafayāt. Dār ʾIḥyāʾ al-Turāth, Beīrūt.

al-Tanwiqī, ’Abū al-Mahāsīn, al-Mufaḍḍal Bin Muḥammad al-Tanwiqi. (1412H). Tārīkh al-‘Ulamā’ al-Naḥwiyyīn, Ṭaḥqīq : Dr. ‘Abd al-Fahāḥ al-Ḥalw Maktabah Hajar, al-Qāhirah, Ed. 2.

Ibn al-Jazarī, Shamsuddīn ’Abū al-Khair Muḥammad Bin Muḥammad Bin Muḥammad Bin ‘Alī Bin Yūsuf. (1351H). Ghāyah al-Nihāyah fī Ṭabaqāt al-Qurrā’, ‘Uniya bi Nishrih li ‘Awwal Marrah bi Rijistrar. Maktabah Ibn Taimiyah, Ed. 1.